

الخفافيش حارس الليل الطائر الذي يكافح الحشرات ويحمي توازن الطبيعة



الثلاثاء 14 يوليو 2026 07:30 م

لطالما ارتبط اسم الخفافيش في مخيلة كثيرين بالخوف والغموض، بسبب ظهوره في القصص والأساطير ككائن ليلي مخيف يمتلك أنيابًا حادة وغيوًا غامضة، إلا أن الحقيقة العلمية تكشف صورة مختلفة تمامًا لهذا المخلوق الفريد، الذي يعد أحد أكثر الكائنات أهمية في الحفاظ على توازن الأنظمة البيئية حول العالم

فالخفافيش ليست مجرد كائنات تطير في الظلام، بل هي ثدييات استثنائية تمتلك قدرات مذهلة جعلتها من أمهر صيادي الليل، حيث تعد الثدييات الوحيدة القادرة على الطيران الحقيقي، وليس مجرد الانزلاق في الهواء كما تفعل بعض الحيوانات الأخرى

ويعرف الاسم العلمي للخفافيش باسم "Chiroptera"، وهي كلمة يونانية تعني "الجناح اليد"، في إشارة إلى تركيب أجنحتها الفريد، إذ تتكون من أربعة أصابع طويلة وإبهام، ترتبط جميعها بغشاء جلدي مرن يشبه اليد المفتوحة، ما يمنحها قدرة هائلة على المناورة وتغيير الاتجاه بسرعة أثناء الطيران

أكثر من 1300 نوع حول العالم

تنتشر الخفافيش في معظم مناطق العالم، باستثناء المناطق القطبية والصحاري القاسية وبعض الجزر النائية، وتضم هذه المجموعة أكثر من 1300 نوع مختلف، لتصبح ثاني أكثر مجموعات الثدييات انتشارًا بعد القوارض

وتختلف أحجام الخفافيش بشكل كبير، فهناك أنواع صغيرة لا يتجاوز وزنها وزن عملة معدنية، بينما توجد أنواع أخرى ضخمة يصل امتداد جناحيها إلى نحو ستة أقدام، ورغم هذا التنوع الكبير فإن جميع أنواع الخفافيش تلعب أدوارًا مهمة داخل بيئاتها الطبيعية

وتقضي الخفافيش ساعات النهار مختبئة في أماكن تعرف باسم "المجاثم"، وهي مواقع تلجأ إليها للراحة والنوم والحماية من المفترسات، وغالبًا ما تكون داخل الكهوف أو الشقوق الصخرية أو الأشجار والغابات الكثيفة، حيث توفر لها هذه الأماكن الحماية والهدوء

صيادون محترفون في الظلام

تتميز معظم أنواع الخفافيش بقدرتها الفائقة على الصيد خلال ساعات الليل، وتعتمد الخفافيش آكلة الحشرات على تقنية مذهلة تعرف باسم "تحديد الموقع بالصدى"، وهي قدرة تمكنها من معرفة أماكن الأشياء من خلال إصدار أصوات عالية التردد لا يسمعها الإنسان غالبًا

وتنتقل هذه الموجات الصوتية في الهواء حتى تصطدم بالأجسام المحيطة بها، ثم تعود مرة أخرى إلى الخفافيش على هيئة صدى، ومن خلال تحليل هذا الصدى تستطيع تحديد حجم الفريسة وموقعها والمسافة التي تفصلها عنها بدقة كبيرة، ما يسمح لها باصطياد الحشرات أثناء الطيران

وتساعد هذه التقنية المتطورة على التحرك داخل الكهوف المظلمة والغابات ليلاً، حيث يمكنها ملاحقة الحشرات الصغيرة مثل البعوض والعث والتقاطها في الهواء بسرعة مذهلة

ليست كلها مصاصة دماء

رغم الصورة الشهيرة المرتبطة بالخفافيش مصاصة الدماء، فإن هذا النوع لا يمثل سوى جزء صغير جدًا من عالم الخفافيش، فمعظم الخفافيش تتغذى على الحشرات، بينما توجد أنواع أخرى تعتمد على الفاكهة أو الرحيق أو حبوب اللقاح.

أما الخفافيش مصاصة الدماء فهي النوع الوحيد الذي يتغذى على الدم، لكنها غالبًا تعتمد على دماء الحيوانات مثل الماشية والخيول، وليس كما تصورها بعض الأفلام والأساطير بأنها تهاجم البشر باستمرار.

وفي المقابل، تتميز الخفافيش التي تتغذى على الفاكهة بعيون أكبر وحاسة شم قوية تساعد على العثور على غذائها، كما أن آذانها تكون أصغر مقارنة بالخفافيش التي تعتمد على تحديد الموقع بالصدى.

حليف طبيعي للمزارعين والبيئة

وتلعب الخفافيش دورًا بالغ الأهمية في حماية البيئة والزراعة، إذ تستهلك الخفافيش آكلة الحشرات ملايين الحشرات كل ليلة، ما يجعلها بمثابة وسيلة طبيعية لمكافحة الآفات الزراعية.

وهذا الدور يساعد المزارعين على تقليل الاعتماد على المبيدات الحشرية الكيميائية التي قد تكون ضارة بالبيئة، كما يوفر تكاليف كبيرة كانت تنفق سنويًا لمواجهة انتشار الحشرات التي تهدد المحاصيل.

ولا يقتصر دور الخفافيش على مكافحة الحشرات فقط، بل تساهم أيضًا في تلقيح النباتات ونقل حبوب اللقاح بين الأزهار، حيث تعتمد مئات الأنواع النباتية على هذه الكائنات الليلية لإتمام عملية التكاثر.

ومن بين النباتات التي تستفيد من الخفافيش أشجار المانجو والموز والأفوكادو، إضافة إلى العديد من النباتات الاستوائية التي تعتمد على الخفافيش في استمرار دورة حياتها.

وتلعب الخفافيش الآكلة للفاكهة دورًا مهمًا في إعادة نمو الغابات، فهي تساعد على نشر البذور لمسافات بعيدة بعد تناول الثمار، ما يساهم في نمو أشجار جديدة وتجديد المناطق التي تعرضت للتدهور أو إزالة الغابات.

ولهذا يصف العلماء الخفافيش بأنها "مهندسو الطبيعة"، لأنها تساعد في بناء واستمرار النظم البيئية، وتحافظ على التنوع الحيوي في العديد من المناطق حول العالم.

من الخوف إلى التقدير

بعد سنوات طويلة من انتشار المفاهيم الخاطئة حول الخفافيش، بدأت الدراسات العلمية تكشف قيمتها الحقيقية باعتبارها كائنات ضرورية وليست مخيفة كما تصورها بعض الموروثات الشعبية.

فالخفافيش ليس مجرد صياد ماهر يتحرك في ظلام الليل، بل هو عنصر أساسي في دورة الحياة، يساهم في حماية المحاصيل، ونشر النباتات، والحفاظ على التوازن البيئي، ليظل واحدًا من أكثر المخلوقات إثارة للإعجاب في عالم الطبيعة.